النشـأة الأخــرى

إعـــداد
يحيى عابدين رضوان
رحمه الله

النشأة الأخرى

اسم الكتاب: النشأة الأخرى
المؤلف: يحيى عابدين رضوان
الناشر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع
المنيا - ملوي
تليفون: ٠٨٦/٢٦٤١٤٦٠
جوال: ٠١٠٥٣٥٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وسلم تسليمًا .

يصعب على بعض الناس حقيقة بعث الإنسان ، إعادته للحياه مرة أخرى للحساب والجزاء وذلك بعد أن مات وأصبح ترابًا وعظامًا .

يصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء الناس في كتابه العزيز في أكثر من موضوع نذكر منها :

قول الله تعالى : ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ١-٣] .

وقال تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٢] .

والذي ينظر إلى الأمر نظرة سطحية غير متعمقة ، يكون من نصيبه استبعاد هذا الأمر والعجب منه

وكيف لهذا التراب والعظام أن يكون بشرًا سويًا كما كان!!

سنة الأخذ بالأسباب

ولكن مهلًا يا أخي.. تدبر معي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فسوف تجد أن الأمر يسير على إحدى سنن الله في خلقه - ألا وهي سنة الأخذ بالأسباب: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

فالله سبحانه وتعالى خلق الأسباب، وهو سبحانه - وله المثل الأعلى في السموات والأرض - يأخذ بما خلق من الأسباب ليخلق ما يشاء من الأسباب، فيأتي أمره على هذه السنة حثيثًا خفيًا فتلتقي الأسباب وتتشابك ليتم وعد الله ويقع، ليس خرقًا لما خلق من النواميس الطبيعية والقوانين الأرضية.

هذا باستثناء أمره -تبارك وتعالى- الذي يأتي بينًا واضحًا خارقًا لكل النواميس الطبيعية والقوانين

الأرضية التي خلقها - ذلك كما في المعجزات - تأييدًا منه تبارك وتعالى لرسله وعباده.

ففي سورة البقرة أمر الله تعالى بنى إسرائيل، عن طريق سيدنا موسى -عليه السلام- بأن يذبحوا بقرة؛ فيضربوا القتيل ببعضها، فتعود إليه الحياة مرة أخرى ليدل على من قتله، ويؤيد هذا الحدث نبوءة سيدنا موسى -عليه السلام- وصدق رسالته.

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

ويظهر الله سبحانه وتعالى موسى على فرعون وملئه بحجة دامغة ومعجزة بينة.

قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ

مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ١٧-٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٦٩-٧٠].

هذه بالطبع أمثلة وليست حصرًا لكل ما ورد في كتاب الله تعالى من معجزات أيد بها الله سبحانه وتعالى رسله وعباده.

فهناك المعجزات التي أيد الله سبحانه بها عيسى -عليه السلام- ونوحًا وصالحًا وداود وسليمان وأهل الكهف وغيرهم من عباد الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وجدير بنا أن نذكر هنا معجزة المعجزات الدائمة الباقية التي أيد الله بها رسوله محمد ﷺ وأيد بها دعوته ومن اتبعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - ألا وهي القرآن الكريم.

وإن كلاً من الطريقين في إنجاز وعده سبحانه

وتعالى - خفيًا أو معجزة بينة - سبيل للإيمان به وتصديق دعوته .

حكمة الأخذ بالأسباب

يعلمنا الله سبحانه وتعالى أنه يأخذ بما خلق من الأسباب وذلك حتى يقرب إلى عقولنا المحدودة الأمور العظيمة التي هي أكبر من أن ندركها وندرك كيف ومتى حدثت أو سوف تحدث؛ فنسمع ونطيع مصدقين مؤمنين واثقين بوجوده سبحانه وتعالى وبما كائن من الغيب كالملائكة والجنة والنار وبما سيكون من الغيب كالبعث والحساب .

يعلمنا الله تبارك وتعالى ذلك؛ فجعل سنته كإحدى السنن التي جعلنا عليها في حياتنا ، فهو سبحانه يأخذ بما خلق من الأسباب - ليخلق ما يشاء من الأسباب - ونحن نأخذ بما خلق الله لنا من الأسباب لنحيا ونعيش ونؤمن به . وإن هذا التشابه بين سنة الله تعالى وسنتنا الذي جعلنا الله عليها آية عظيمة على أنه سبحانه خالقنا وهادينا ومعلمنا .

وسنضرب مثالين لمخلوقين من أعظم مخلوقات الله يتجلى فيهما سنة الأخذ بالأسباب.

خلق السموات والارض

يتجلى في خلق السموات والأرض سنة الأخذ بالأسباب، انظر معي مراحل الخلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وإذا نحن فسرنا الستة أيام التي جاءت في الآية الكريمة، بأيام وجودنا على الأرض أربع وعشرين ساعة، أو فسرناها بستة أيام من أيام الله تعالى التي يقول فيها سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

أو فسرناها بست مراحل، الله تعالى أعلم

بمقدارها من الزمن ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وما حدث فيها ، فكل التفاسير تدل على أن خلق السموات والأرض وما بينهما قد جاء على سنة الأخذ بالأسباب ، وليس خرقًا للنواميس الطبيعية أو القوانين الأرضية التي خلقها الله تبارك وتعالى . والقرآن الكريم يصف بعض ما تم في هذه المراحل، في أكثر من آية منها :

قول الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠) .

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ

تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] .

النشاة الأولى

وتتجلى سنة الأخذ بالأسباب في النشأة الأولى (خلق الإنسان) التي وعد الله تعالى في كتابه بأننا سنعلمها بما أتاح لنا من أسباب العلم ، فتكون لنا ذكرى .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] .

ويشرح الأستاذ / عفيف عبدالفتاح طبارة في كتابه (روح الدين الإسلامي) مراحل خلق الإنسان

(النشأة الأولى) شرحًا مختصرًا مفيدًا فيقول:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

إذا أمعنا النظر في هذه الآيات وجدنا أنها دلت بوضوح على ما دل العلم عليه بعد ذلك في أن الإنسان خلق من طين، فإن النطفة في كل من الذكر والأنثى التي يتكون منها الجنين هي وليدة عملية التغذية التي يتغذى بها الإنسان وأصل هذه التغذية ومنشؤها التراب.

والمراد بالنطفة في الآية هي مجموعة الخلايا الحية التي تصدر من الرجل وتعوم في السائل الموجود داخل رحم المرأة ثم تتسابق لتنال خلية الأنثى الواحدة، وأحد هذه الحيوانات المنوية الذي يصل ولا يخرق بويضة الأنثى ويدخل فيها

ويمتزج بها . وهذه أول عملية تكوين الجنين .

ويضيف قائلاً: ثم يخبرنا الله تعالى بأنها تصير علقة وهي مجموعة الخلايا التي تتقسم إليها البويضة بعد تلقيحها ، وثم نتأت على سطحها نتوءات تصلها بجدار الرحم، هذا وقد سميت علقة لأنها تعلق بجدار الرحم .

على أن الجنين يصير بعد ذلك مستديرًا بغير انتظام ومكورًا ، ويبقى كذلك بضعة أسابيع وقد سماه الله (مضغة) لكثرة الشبه بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة وهي في الاصطلاح الطبي عبارة عن نمو العلقة وتنوع خلاياها وتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر ، وهنا يبدأ طور التكوين وتظهر آثار العظام في المضغة ، وبعد أن تتكون العظام يبدأ اللحم في التكون بظهور العضلات وذلك بتنوع الخلايا التي تحيط بالعظام وبينما تظهر العظام والعضلات تتكون بقية أعضاء الجسم .

النشأة الأخرى

وكما سار خلق السموات والأرض ، والنشأة الأولى على سنة الأخذ بما خلق الله تعالى لهما من أسباب ، ستسير بإذن الله تعالى النشأة الأخرى (البعث)

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧﴾ [النجم: ٤٥-٤٧] .

وإن كثيرًا من الناس ليظن أن الإنسان الذي تحول إلى تراب وعظام سيتحول بين لحظة وأخرى إلى بشر سويٍ له كل مقومات الحياة .

إن هذا ظنٌ غير صحيح، فإن الحقائق التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تؤكد أن تلك العظام سوف تمر بأسباب خلقها الله لها حتى تصبح بشرًا سويًا له كل مقومات الحياة .

انظر معي إلى سنة رسول الله ﷺ عن أبى سعد عن النبي ﷺ قال: يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، قيل: وما هو يا

رسول الله ؟ قال: مثل حبة خردل منه تنشئون (وفى رواية أخرى) كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب (ورد هذا الحديث في ابن كثير ص ٤٧٢ تفسير سورة عبس)

إن حديث رسول الله ﷺ يربطنا ربطًا وثيقًا ويوضح لنا كثيرًا من الآيات التي تتحدث عن أمر البعث فإنك عندما تتدبر كتاب الله تبارك وتعالى تجد أن من هذه الحبة التي ذكرت في حديث رسول الله ﷺ ستبدأ النشأة الأخرى ،بدأت النشأة الأولى من تلك النطفة التي هي خليط من ماء الرجل وماء المرأة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٣-٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨] .

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٥] .

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩-١١] .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧] .

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] .

وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: ١٩] .

وقال تعالى : ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الروم: ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [فصلت: ٣٩] .

إن الآيات توضح أن الإنسان سيخرج من الأرض تارة أخرى كما خلق منها ، ولكن كيف سيكون ذلك؟

إلا من حبة الخردل المتبقية منه والتي ذكر في حديث رسول الله ﷺ وإن كلمة ﴿ذَٰلِكَ﴾ ولام التوكيد في كلمة ﴿لَمُحْىِ﴾ لتبين لنا أن إنبات هذه الحبة من الأرض لتعطى إنسانًا شبيهًا بإنبات الحب من الأرض لتعطى نباتًا .

وإن آيات الله تبارك وتعالى في النباتات التي بين أيدينا لتعطينا التأكيد على هذه المعانى ، إن الإنسان شبيه في خروجه من الأرض في النشأة

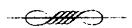
الأخرى بالنباتات ، ونحن إذا فكرنا في حبة الخردل المتبقية من جسد الإنسان بعد أن تأكله الأرض والمذكورة في حديث رسول الله ﷺ تجدها شبية بالحبات التي يكونها النبات عندما يكبر ويشيخ والتى تعاد في الأرض مرة أخرى لتعطى نباتات أخرى مثله .

أى كما يكون للنبات حبات يعاد فيها مرة أخرى ومرات والتي نسميها (تقاوى أو بذور النبات) يكون للإنسان حبة يعاد فيها مرة أخرى للبعث والحساب نسميها تجاوزًا (تقاوى الإنسان) .

وعلمنا الله تبارك وتعالى من آياته في النبات والأرض أنه سبحانه وتعالى ينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ويخرج منها نباتات شتى .

فأي ماء مبارك سينزل من السماء بإذن ربه ليخرجنا من الأرض تارة أخرى للحساب ؟؟ وأي أسباب خلقها الله تعالى ستحيط بهذه الحبة لتنبت

وتثمر بشرًا سويًّا ؟ والله تعالى أعلم . . . وكل ما نعلمه أن وعد الله حق وأن الله على كل شيء قدير .



بحث بعنوان
حقائق قرآنية

إعداد
يحيى عابدين رضوان

(١) الناس والدين

الدين هو الالتزام ، وإنسان دان بالإسلام أي التزم بمعتقدات الإسلام .

والناس ينقسمون إلى فرق من حيث المصدر الذي منه يستمدون دينهم : فمنهم من يتخذ إلهه هواه يستمد منه الدين .

يقول القرآن : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] .

ومنهم من يتخذ مخلوقًا سيدًا أو كبيرًا فيستمد منه الدين، يقول القرآن : ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨] .

ومنهم من يتخذ رسولاً أو نبيًّا إلهًا فيستمد منه الدين، وبرأ الله -سبحانه وتعالى- رسوله عيسى ابن مريم من هذه التهمة يوم القيامة، يقول : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى

وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

ومنهم من يتخذ جمادًا إلهًا يسجد له من دون الله تعالى، يقول القرآن: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

ومنهم من يتخذ الله سبحانه وتعالى ربًا وإلهًا يستمد منه دينه يقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(٢) لله الخلق والأمر

إن قضية الإقرار بأن للكون ربًّا خالقًا وإلهًا مسيطرًا قضية فطرية لا ينكرها إلا كل جاحد أعمى ينكر الشمس في الضحى.

والقرآن يوجه لهؤلاء المنكرين سؤالاً استنكاريًّا في آية محكمة شافية كافية ، يقول تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] .

وحين عرضت قضية وجود الله سبحانه وتعالى على الأعرابي قبل البعثة قال في يسر ووضوح: (إن البعرة تدل على البعير والسير يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير).

إن القضية المهمة في نظري هي من يكون رب هذا الكون وخالقه؟ حتى نوجه إليه العبارة هل هو

جماد؟ أم حيوان ؟ أم إنسان ؟أم هو الله سبحانه وتعالى ؟

إن الإله المستحق للعبادة هو من يثبت لنفسه هذا الكون وأحداثه، والتي تتمثل في شيئين هامين هما : الخلق والأمر .

والله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة في كتابه العزيز، أثبت لنفسه الخلق والأمر منها على سبيل المثال :

قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣﴾ [الملك: ٢٣] .

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝﴾ [الملك: ٢٠-٢١].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الروم: ٤٠].

رب هذا الكون هو من يثبت لنفسه هذا الكون، بهذا المنطق السهل اليسير يهتدي المؤمنون إلى خالقهم ويقيمون البرهان على الآخرين.

انظر إلى حوار إبراهيم -عليه السلام- حيث يقيم الحجة على الكافرين بأن الأمر والخلق بيد الله تعالى حيث يقول القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ

ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

وبنفس هذا المنطق في تقديم البرهان على الإله المعبود المستحق للعبادة ، يطلب أصحاب الكهف من قومهم البرهان على أن آلهتهم هي المستحقة للعبادة من دون الله .

يقول القرآن عن أصحاب الكهف : . ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]

فأين البرهان الذي أثبته الكافرون لآلهتهم حتى يعبدونهم من دون الله تعالى .

إن القرآن يتوعد هؤلاء الذين يعبدون آلهة من دون الله وبدون برهان بالحساب وعدم الفلاح في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

(٣) إن الدين عند الله الإسلام

إن الله الرب الإله الخالق العظيم ، اصطفى للناس دينا قيمًا هو الإسلام .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩] .

قال تعالى على لسان إبراهيم ويعقوب : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

إن الإسلام هو الكلمة التي يصل إليها كل باحث عن حقيقة الكون منصف فهو في نهاية بحثه يسلم أمره ويفرد له العبادة ويستمد منه العون .

يقول القرآن : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

(٤) معنى الكتاب في القرآن

اصطفى الله سبحانه وتعالى الإسلام لنا دينًا ،

وجعل رسالات هذا الدين في كتاب واحد هو الكتاب الجامع لكل الرسالات من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

واختار لهذا الكتاب أنبياء مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولفظ الكتاب يذكر في القرآن بمعاني كثيرة منها: الكتاب بمعنى القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

والكتاب بمعنى التوارة والإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

والتوراة والإنجيل هما جزءًا من الكتاب الجامع لكل الرسالات كما يتضح من الآيات في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

ويذكر لفظ الكتاب في القرآن في آية واحدة مرتين: الأولى بمعنى القرآن، والثانية بمعنى التوراة والإنجيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن

لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨] .

ويذكر الله سبحانه وتعالى لفظ الكتاب بمعنى ميعاد انتهاء عمر الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥] .

ويذكر لفظ الكتاب في القرآن بمعنى رسالة سماوية لأمة من الأمم في فترة من الزمن محددة، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩] .

ويذكر لفظ الكتاب في القرآن بمعنى حكم أو قضاء من الله تعالى كما يحكي القرآن عن أسارى

معركة بدر قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

(٥) الناس أمم

قسم الله -سبحانه وتعالى- الناس إلى أمم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

(٦) لكل أمة أجل

قسم الله -سبحانه وتعالى- الناس إلى أمم،

وجعل سبحانه وتعالى لكل أمة أجل ، فترة زمنية تعيشها هذه الأمة لا تزيد عنها ولا تنقص، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤] .

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۝٤٢ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤١-٤٣] .

(٧) لكل أجل كتاب

قسم الله -سبحانه وتعالى- الناس إلى أمم ، وجعل لكل أمة أجل ، فترة زمنية تعيشها هذه الأمة، وجعل -سبحانه وتعالى- في هذه الفترة كتابًا ذا رسالة وأحكام وشرائع ومناسك فترة معيشة هذه الأمة, قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ

بِئَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٧-٣٩].

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى في المصحف المفسر ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ :

(وكذلك أنزلنا القرآن حكمًا عربيًا ، أي ليحكم به في القضايا والوقائع ، ولئن اتبعت أهواءهم يا محمد بعد ما منحك الله من العلم مالك من دون الله من ولي ولا حافظ ، ولقد أرسلنا إلى الأمم رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ، فليس فيك ما يخالف ما كانوا عليه حتى تستبعد منك النبوة وما كان ينبغي لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل وقت حكم يفرض على العباد ، ينسخ الله من الأحكام ما يري ضرورة نسخه ، ويثبت ما لابد من إثباته عنده في اللوح المحفوظ).

وفي كتاب الله آيات تدل على أن لكل فترة زمنية كتابًا ذا تشريع ومناهج ومناسك ،أنزل

ليتناسب زمن معيشة تلك الأمة، قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

[المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٧-٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ

﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثية: ١٨].

(٨) لكل امة رسول

جعل الله –سبحانه وتعالى– الناس أممًا ، وجعل لكل أمة اجلاً ، وجعل لكل أجل كتابًا وجعل سبحانه لكل أمة رسولاً قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٤٧﴾ [يونس: ٤٧].

نخلص مما سبق بأن لكل أمة أجل وكتاب ورسول، وأن كتاب كل أمة هو جزء من الكتاب الجامع الشامل لكل رسالات الإسلام: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وكذلك كتاب كل أمة يحوي تشريعًا ومنهاجًا قد يختلف مع تشريعات ومناهج الأمم الأخرى، وهذا هو المقصود

بالمحو في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾ وقد يتشابه معه وهذا هو المقصود بالإثبات في قوله: ﴿وَيُثْبِتُ﴾ والله تعالى أعلم.

(٩) الكتب جميعًا تدعو إلى الإسلام والتوحيد

والكتب جميعًا والرسل جاءوا يدعون إلى توحيد الله تبارك وتعالى والإسلام له؛ قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝﴾ [النحل: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: (أنا أولي الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟، قال: الأنبياء أخوة من علات

وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي) صحيح مسلم في باب فضائل عيسى -عليه السلام-.

قال العلماء: أولاد العلاَّت بفتح العين المهملة وتشديد اللام: هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأما الإخوة من الأبوين؛ فيقال عليهم أولاد الأعيان؛ قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، وأما قوله ﷺ: (ودينهم واحد) فالمراد به أصول التوحيد. وقال رسول الله ﷺ يؤكد هذه الحقيقة العظيمة: (مثلي ومثل النبيين من قبلي كمثل رجل بنى دارًا وحسنها وجملها إلا موضع لبنة؛ فكان الناس يطوفون ويقولون: ما أحسنها وما أجملها! إلا موضع هذه اللبنة فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين) رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله.

فالأنبياء كلهم جميعًا لبنات تكمل بعضها البعض

في بناء واحد هو الإسلام ، كلهم جميعًا يدعون للإسلام ويؤمنون بالله وأتباعهم يعتنقون الإسلام ويؤمنون بالله تبارك وتعالى . وهذا نستنبطه من أقوالهم وأقوال أتباعهم في القرآن الكريم .

يخبرنا الله -تبارك وتعالى- عن إسلام نوح عليه الإسلام : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٢] .

ويخبرنا الله -تبارك وتعالى- عن إسلام إبراهيم وإسماعيل ويعقوب فيقول : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ

وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

ويخبر الله تبارك وتعالى عن إسلام يوسف -عليه السلام- فيقول: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى على لسان موسى -عليه السلام- يعظ قومه -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

وها هم سحرة فرعون بعد أن تبين لهم الحق وآمنوا مع موسى -عليه السلام- وأسلموا لله

يقولون لفرعون: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

وهذا فرعون عندما أدركه الغرق يعلن إسلامه مع بني إسرائيل: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

ولكن هيهات له هيهات.

وها هو سليمان -عليه السلام- يرسل إلى بلقيس ملكة سبأ يدعوها إلى الإسلام:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وهذه بلقيس -رضي الله عنها- بعد أن تبين لها الحق ، تعلن إسلامها: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٤] .

وها هم الحواريون أتباع عيسى -عليه السلام- يعلنون إسلامهم ويشهدون عيسى -عليه السلام- على ذلك فيقولون: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣] .

والله تعالى يذكر عيسى -عليه السلام- بنعمته وفضله عليه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] .

وها هم أهل الكتاب يقرون أنهم كانوا مسلمين قبل رسالة محمد ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

وها هو رسولنا الكريم محمد ﷺ يخبرنا: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]

ويقول الله تعالى على لسانه ﷺ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤]

وها هو ﷺ يقرر أنه جاء بمثل ما جاء به الأنبياء والرسل من قبل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩]

ويخبرنا رسول الله ﷺ أن كل مولود يولد يكون على فطرة الإسلام: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه»**

والله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نؤمن بما جاء به الأنبياء من قبل محمد ﷺ كلهم أجمعين، لأنهم

جميعًا جاءوا بأمر واحد هو الإسلام: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

وها هم الجن يؤمنون بالله والقرآن ويسلمون وجوههم لله رب العالمين: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ۝١٤﴾ [الجن: ١٣-١٤]، وها هو الكون كله ومن فيه يسلم لله رب العالمين: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عمران: ٨٣]

(١٠) حقائق قرآنية

من هذا نخلص إلى أمور وحقائق قرآنية هامة يقرها الله أصدق القائلين في كتابة الكريم ويكشفها التاريخ يومًا بعد يوم:

أولها: أن هناك كتب ورسالات ذات شرائع ومناهج في دين واحد هو الإسلام تختلف في بعض الأمور وتتوحد في الأخرى بما يتناسب وزمن نزولها، وليس كما يظن كثير من الناس أنها أديان مختلفة، فلا يصح أن نقول الديانة اليهودية أو الديانة النصرانية ، ولكن الحق أن نقول :

- رسالة نوح عليه الصلاة والسلام في الإسلام.
- رسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الإسلام.
- رسالة موسى عليه الصلاة والسلام في الإسلام.
- رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام في الإسلام.
- رسالة محمد ﷺ في الإسلام.

أما الألفاظ النصرانية واليهودية فسوف نشرح نشأة هذه الألفاظ وحقيقتها في نهاية هذا البحث بإذن الله.

ثانيها: أن محمد ﷺ لم يأت وحده بالإسلام، ولكن محمدًا ﷺ جاء بآخر كتاب وتشريع في الإسلام.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]

فالأنبياء جميعًا لبنات في بناء هو الإسلام، فيكون نوح -عليه السلام- ومن اتبعه مسلمين شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن نوحًا رسول الله، وإبراهيم -عليه السلام- ومن اتبعه مسلمين، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم رسول الله، وموسى -عليه السلام- ومن اتبعه مسلمين ، وشهدوا أن لا إله ألا الله وان موسى رسول الله، وأن محمد ﷺ ومن اتبعه مسلمين، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. وهكذا كل نبي نعرفه أو لا نعرفه وأتباعه مسلمين جاءوا بالإسلام والتوحيد.

ثالثًا: أن الإسلام جاء بلغات مختلفة كل رسول جاء بلسان قومه ليبين لهم ، وليس كما يظن بعض الناس أن الإسلام جاء باللغة العربية فقط ، وهذه حقيقة يقرها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]

فإبراهيم -عليه السلام- كان يتكلم اللغة البابلية وولد في تركيا من الدولة الآشورية.

وموسى -عليه السلام- كان يتكلم اللغة المصرية القديمة وولد بمصر ونشأ في بيت فرعون مصر.

وعيسى -عليه السلام- كان يتكلم اللغة اليونانية القديمة وولد ببيت لحم بفلسطين.

ومحمد ﷺ كان يتكلم اللغة العربية وولد في الجزيرة العربية.

(١١) الذين هادوا والنصارى
ألفاظ تعبر عن مواقف وليس عن دين

ونوضح في هذا الجزء -بإذن الله تعالى- بعض الألفاظ التي تتكرر في القرآن وقد تتشابه على بعض الناس وتختلط عليهم في بعض أمور دينهم مثل لفظ النصارى ولفظ اليهود أو الذين هادوا .

وبعض الألفاظ التي أصبحت متداولة في حياتنا كالنصرانية واليهودية حتى ليظن بعض الناس أنها أديان سماوية منزلة من الله رب العالمين عرفنا في الجزء السابق أن الذين امنوا مع موسى -عليه السلام- مسلمين شهدوا أن لا إله إلا الله وأن موسى رسول الله .

وهؤلاء الأتباع لهذا الرسول الكريم من بني إسرائيل ومن سحرة فرعون ومن أقوام أخرى سموا بالذين هادوا واليهود نسبة إلى موقف لهم مع رسولهم -عليه السلام- .

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي في تفسيره

(المصحف المفسر): (هودا): أي يهود جمع هائد أي تائب، سمي به اليهود لقول موسى -عليه السلام- إنا هدنا إليك ، أي تبنا ورجعنا.

وروى الطبري -رحمه الله تعالى- في الجزء الأول من صفحة (٢٥٣-٢٥٧) في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]

يقول: إن الذين آمنوا هم الذين صدقوا رسول الله، والذين هادوا هم اليهود إنما سموا اليهود من قولهم: إنا هدنا إليك أي تبنا.

والآيات الكريمة في كتاب الله تعالى تعطينا هذا الموقف ، وسبب نشأة هذا اللفظ في سورة الأعراف قال تعالى:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ

وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٦]

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي في تفسيره لهذه الآيات: وكان الله قد واعد موسى أربعين ليلة وأمره أن يحضر معه سبعين رجلاً فاختارهم من قومه وذهب بهم لميقات ربه وسمعوا كلام الله لموسى فطمعوا في رؤيته فطلبوها فأخذتهم الصاعقة، قال موسى: رب لو شئت أهلكتهم وإياي قبل هذا اليوم أتهلكنا بما يفعله سفهاؤنا؟ ما هو إلا امتحانك تضل به من تشاء وتهدى من تشاء أنت مولانا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وآتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة الجنة إنا تبنا إليك

قال : عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي أحاطت بكل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤدون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون .

ومن هذا الموقف أطلق على أتباع موسى المسلمين لفظ الذين هادوا وظهرت اليهودية .

وهؤلاء الأتباع انقسموا من بعد رسولهم إلى طائفتين ، طائفة ظلت متمسكة بدينها الإسلام حتى بعث عيسى -عليه السلام- فآمنت به وصدقته ، وطائفة أخرى بدلوا من بعد رسولهم وفرقوا دينهم وانفصلوا عن الإسلام واختلقوا لأنفسهم دينًا هو اليهودية كافرين بما جاء به عيسى -عليه السلام- .

نخلص من هذا إلى أن لفظ اليهودية لا يعبر عن دين لكن يعبر عن موقف من مواقف المسلمين أتباع موسى -عليه السلام- معه .

وفي لفظ النصارى والنصرانية عرفنا في الجزء السابق أن الذين آمنوا مع عيسى -عليه السلام-

شهدوا أن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله، وهؤلاء الأتباع لهذا الرسول الكريم -عليه السلام- سُمُّو بالنصارى نسبة إلى موقف لهم مع رسولهم.

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسيره للآيه (٦٢) من سورة البقرة (والنصارى هم أتباع عيسى وتسميتهم النصارى هي في قول: نسبة إلى الناصرة وهى القرية التي ولد بها عيسى -عليه السلام- بفلسطين، وفى قول آخر إلى قول عيسى ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

ويرجح رأى الطبري الأول الآية (٢٣) من إنجيل (متى) إذ تقول عن عيسى -عليه السلام- (ثم أتى وسكن في بلد تسمى الناصرة ليكمل قول الأنبياء إنه سيدعى ناصريًّا).

وأنني أرجح رأى الطبري الثاني في تعريف النصارى وهو قول عيسى -عليه السلام-: من

أنصارى إلى الله فسمي أنصاره بالنصارى ويقص القرآن علينا هذا الموقف عندما أحس عيسى من أتباعه الكفر، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣]

وفى آيات أخرى يقص الله سبحانه وتعالى هذا الموقف، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

[الصف: ١٤].

ويشير الله -تبارك وتعالى- إلى موقفهم هذا في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ

ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ [المائدة: ١٤].

وفى هذا الموقف أطلق على أتباع عيسى -عليه السلام- المسلمين لفظ النصارى وهؤلاء الأتباع انقسموا من بعد رسولهم كما انقسم أتباع موسى -عليه السلام- من قبل إلى طائفتين منهما طائفة ظلت متمسكة بدينها الإسلام حتى ظهر محمد ﷺ فآمنت به وصدقته.

ونذكر أن الانقسام والاختلاف بين الأتباع ذكره الله -تبارك وتعالى- في كتابه العزيز: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣].

كما نذكر أيضًا أن الله -تبارك وتعالى- ذكر

الجماعات المسلمة التي ظهرت من تلك الرسالات بكل خير في القرآن ووعدها الحسنى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

نخلص من هذا أن لفظ النصرانية لا يعبر عن دين، ولكن يعبر عن موقف من مواقف المسلمين أتباع عيسى –عليه السلام– معه.

وكما سمي المسلمون أتباع موسى وعيسى عليهما السلام بالذين هادوا والنصارى سمي المسلمون الأوائل أتباع محمد ﷺ بالأنصار والمهاجرين تعبيرًا عن مواقف لهم معه ﷺ وهما موقف الهجرة من مكة إلى المدينة فرارًا بالدين، وموقف المناصرة له في المدينة ويذكرهم الله سبحانه وتعالى بهذه الألفاظ في كتابه الكريم في آيات كثيرة، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ

مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

والحمد لله رب العالمين

الدعاء للمتوفى

اللهم يا حنان يا منان يا واسع الغفران اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من خطاياه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره وأهلاً خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار.

اللهم عامله بما أنت أهله ولا تعامله بما هو أهله.

اللهم اجزه عن الإحسان إحسانًا وعن الإساءة عفوًا وغفرانًا.

اللهم إن كان محسنًا فزد فى حسناته، وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته يا رب العالمين.

اللهم آنسه فى وحدته وآنسه فى وحشته وآنسه فى غربته.

اللهم أنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة ولا تجعله حفرة من حفر النار.

اللهم أفسح له فى قبره مد بصره وافرش قبره من فراش الجنة.

اللهم انقله من مواطن الدود وضيق اللحود إلى جنات الخلود.

اللهم بشره بقولك: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

اللهم احشره فى زمرة المقربين وبشره بروح وريحان وجنة نعيم.

اللهم يمن كتابه ويسر حسابه وثقل

بالحسنات ميزانه وثبت على الصراط أقدامه وأسكنه فى جوار نبيك ومصطفاك سيدنا محمد ﷺ.

اللهم آمنه من فزع يوم القيامة ومن هول يوم القيامة واجعل نفسه آمنة مطمئنة ولقنه حجته اللهم أسكنه فسيح الجنان واغفر له يا رحمن.

اللهم اجعل عن يمينه نورًا وعن شماله نورًا ومن فوقه نورًا ومن تحته نورًا حتى تبعثه آمنًا مطمئنًا فى نور من نورك.

اللهم انظر إليه نظرة رضا فإن من تنظر إليه نظرة رضًا لا تعذبه أبدًا.

اللهم اغفر له فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له فى قبره ونور له فيه.

اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك الغفور الرحيم.

اللهم عبدك أسلمه إليك الأهل والمال والعشيرة والذنب العظيم وأنت الغفور الرحيم.

اللهم عبدك وولد عبدك نزل بك اليوم وأنت خير منزول به.

اللهم وسع له فى مدخله واغفر له ذنبه فإنا لا نعلم منه إلا خيرًا وأنت أعلم به.

اللهم اجعله لنا فرطًا واجعل الجنة بيننا وبينه موعدًا اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده

اللهم اغفر لنا ولميتنا وشاهدنا وغائبنا

وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده آمين.

الفهرس